



٥١١

كتابنا الاصول

تأليف

المحقق الكبير والمدقق النخبير

الشيخ محمد كاظم الخراساني

(الآخوند)

المرقة ١٣٢٩ هـ

تجقيق

مؤسسة النشر الاسلامي

التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة

شابك ٤ - ١٨٤ - ٤٧٠ - ٩٦٤

ISBN 964 - 470 - 184 - 4



كفاية الأصول

- العلامة المدقق الشيخ محمد كاظم الخراساني «الآخوند»
- أصول
- مؤسّسة النشر الاسلامي
- ٥٨٤
- الخامسة
- ٢٠٠٠ نسخة
- ١٤٢٠ هـ. ق
- ١٥٠٠ تومان

- المؤلف :
- الموضوع :
- تحقيق ونشر :
- عدد الصفحات :
- الطبعة :
- المطبوع :
- التاريخ :
- الثمن :

مؤسّسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفّة

سنة الأئمة الأربعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله المطهرين المنتجبين، سيما خاتم الأوصياء المنتظر الإمام الثاني عشر الحجة ابن الحسن صلوات الله عليهم أجمعين، واللجنة الدائمة على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

لا يخفى على ذوي البصائر أن انفتاح باب الاجتهاد في الفقه عند مذهب أهل البيت عليهم السلام أعطى فرصة طيبة لثمور حركة الاجتهاد ونمو العلوم المرتبطة بهذه الحركة وعلى رأسها علم «اصول الفقه» الذي به يقندر الفقيه على استخراج واستنباط احكام الله تعالى. وبديهي أنه كلما ابتعدنا عن زمن الوحي والتشريع وكلما تطورت الحياة وكثرت الموارد والمواضيع يظهر - أكثر فأكثر - أن هذا العلم له دور فعال في تعريف واستنباط الأحكام الشرعية وحل القضايا المستحدثة على ضوء الكتاب المبين وستة المعصومين عليهم السلام ولذلك نرى تطور هذا العلم في القرون - ولا سيما في العشرات - الأخيرة بشكل اختلف كميته وكيفية عما كان عليه في الأزمنة السالفة، وظهر بعض المصطلحات الذي لم يكن في تلك الأعصار.

ولا يخفى أن هذا التحول كان بتوفيق من الله سبحانه حيث هبأ رجالاً وسددهم فعمقوا أبحاث هذا العلم وأحكموا قواعده ووضعوا اصوله على أسس متينة ورصينة واكتشفوا آفاقاً جديدة منه إلى أن انتهى الدور إلى الشيخ مرتضى الأنصاري (المتوفى ١٢٨١ هـ) فحرر من مباني الاصول وأحكم قواعدها فأبدع وأعجب، وأحرز مقام القيادة الكبرى لركب المحققين طول المسير ولا يزال يرجع كل تحقيق إلى ما حققه هذا المضطلع العظيم.

ومن هذه المدرسة الكبرى تخرجت المسأت من عباقرة العلم والفقاهاة كان من أبرزهم وأشهرهم المدقق النحرير الشيخ محمد كاظم المعروف بـ «الأخوند الخراساني» قدس الله نفسه الزكية، الذي زاد تحقيقاً وتدقيقاً في أساليب الاستنباط ومناهج الاجتهاد، ويمكن

القول حقاً أنه رفع راية هذه المدرسة الاصولية ومدتها بعلومه وتحقيقاته، وتدرسه وتأليفه - وقد أشرنا إليها في بحثنا عن حياة الشيخ الآخوند -.

ومن جملة ما صنفه قدس سره كتابه الموسوم بـ «كفاية الأصول» الذي عليه مدار التدريس في مرحلة السطوح العليا في حوزاتنا العلمية.

وقد قامت المؤسسة - والحمد لله - بتحقيقه وتقوم نصوصه واستخراج منابعه بعد مقابلته مع عدة نسخ مخطوطة وغير مخطوطة.

(منها) النسخة التي اشتهرت بـ «نسخة المؤلف» المكتوبة بخطه الشريف واخفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي تحت رقم ١٤١١٧، وقد رمزنا لها بـ «الأصل».

(ومنها) النسخة الموجودة في مكتبة حفيده سماحة فضيلة الشيخ عبدالرضا الكفائي حفظه الله تعالى، التي عليها تصحيحات مأخوذة من النسخة التي درسها المصنف عدة

مرات وقد ساعدنا في هذا المشروع المبارك بإعطائه النسخة المذكورة وكتابة شيء من جوانب حياة المصنف قدس سره، وقد رمزنا لها بـ «مص».

ولا يسعنا إلا وأن نقدم جزيل شكرنا وتقديرنا لجميع الاخوة الكرام من أهل الفضل والتحقيق الذين بذلوا جهودهم ومساعدتهم في إخراج هذا الكتاب بهذه الصورة راجين لهم

دوام الموفقية والسداد.

ونختم مقدمتنا هذه بذكر امور:

١ - استفدنا في تصحيح وتدقيق هذا الكتاب من بعض الحواشي والشروح التي كتبت على الكفاية كحاشية المشكيني ومنتهى الدراية وحقائق الأصول ونهاية الدراية وغيرها.

٢ - هناك اختلاف بين ما ذكره المؤلف من بعض الروايات وبين منابعها الاصلية وهو اختلاف جزئي لا يخل.

٣ - أكثر الحواشي التي ذكرت فيها عبارة «منه أعلى الله مقامه» هي من نفس المصنف نقلناها بعينها من نسخة «مص»، وبعضها - وهو قليل جداً - من نسخة الأصل.

وأخيراً نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لخدمة تلامذة الإمام الصادق عليه السلام وجنود صاحب العصر المهدي المنتظر أرواحنا لتراب مقدمه الفداء، وآخر دعوانا أن الحمد لله

رب العالمين.

مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

الآخوند الخراساني

نجم لامع في سماء الإبداع العلمي

إنّ الحديث عن حياة شخصيّة علميّة بارزة - من طراز العَلَم العَيْلَم الشيخ الآخوند الخراساني مؤلّف هذا السفر الأصيلي القيم - هيمنت بأفكارها وآثارها العلميّة علي الأوساط الفقهيّة والاصوليّة واستقطبت إهتمام العلماء والمجهتدين، وانفردت بالقسط الأعظم من إعجابهم على مدى ما يقرب من مائة عام.

إنّ الحديث عن حياة شخصيّة كهذه، بتفصيل في صفحات معدودات هو - بحق - من الأمور الصعبة، إن لم نقل إنه من أصعبها.

ولكنه الواجب الملح يفرض أن يصدر هذا الكتاب الجليل الذي هو - بحق - أيضاً - خير معرفٍ لمؤلّفه، بمقدّمة تسلّط بعض الضوء على أبعاد هذه الشخصيّة الفدّة، وتبرز جوانب حيويّة ومفيدة من حياتها الطيبة الزاخرة بالعبر، على أمل أن يُفرد لهذا الغرض كتاب خاص يستوعب كل التفاصيل والجزئيات ويضمّ كل شاردة وواردة يكون تخليداً وتقديراً لمن مضى، وتذكيراً ودرسا لمن يأتي.

نسبه ومولده:

هو الشيخ محمد كاظم ابن المولى حسين الهروي الخراساني، المعروف بـ «الآخوند الخراساني».

ونسب إلى «هراة» وهي من مدن شرقي مشهد بخراسان لكون والديه وجدّه من أهلها، وكان والده قد تركها وهاجر إلى مشهد لغرض تحصيل العلوم الدينيّة والمعارف الاسلاميّة أيام شبابه، وتزوج بها ورزق بنين وبناتاً.

وُلد الشيخ «الآخوند الخراساني» عام ١٢٥٥ هـ في مدينة مشهد المقدّسة حيث مرقد الامام الثامن من أئمة أهل البيت عليهم السلام أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، ونشأ وترعرع في أحضان عائلته المتديّنة، وبخاصّة والده المحبّ للعلم والعلماء.

نشأته العلميّة:

أقبل الآخوند الخراساني - وهو أصغر إخوته الأربعة - على دراسة العلوم الدينيّة وتحصيل المعارف الاسلاميّة وهو في الحادية عشرة من عمره، فدرس المقدّمات بشغف، وتلقّى

العربية والمنطق وشيئاً من علمي الفقه والاصول على يد الاساتذه بمشهد خراسان وأكمل هذه المرحلة وهو بعد لم يبلغ الثالثة والعشرين.

ولشدة رغبته في العلوم الدينية والمعارف الاسلامية طمح إلى أن يستكمل دراسته في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف التي كانت تزدهر آنذاك - بعلامة العصر صاحب المدرسة الاصولية المعروفة الشيخ مرتضى الأنصاري قدس الله روحه، فشدت إليها الرحال في شهر رجب من عام ١٢٧٧ هـ، وتوجه بكل شوق إلى طهران ليسافر منها إلى العراق فالنجف الأشرف حيث مثوى إمام المتقين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والجامعة العلمية الاسلامية الكبرى المقامة حوله منذ ألف سنة.

وخلال توجهه إلى طهران مرّ على مدينة «سبزوار» فاغتم الفرصة وحضر في مجلس درس الحكيم المتأله والفيلسوف الاسلامي الذائع الصيت المولى هادي السبزواري قدس سره. ذلك المجلس الذي كان حافلاً بالفضلاء الذين اجتازوا المراحل الاولى في دراسة المنطق والحكمة، وتهيأوا لتلقي الدراسات العليا في الحكمة والفلسفة - إلا أن هذا الحضور واللقاء كان عابراً وقصيراً.

وما أن وصل المترجم له إلى طهران إلا وقد نفدت نفقته، وحال نفاذ نفقته دون مواصلة السفر إلى حيث كانت نفسه متشوقة اليه. فاضطر إلى البقاء في طهران والتي كانت يومذاك من مراكز الحكمة والفلسفة المزدهرة، وطال مكثه في طهران أكثر من ثلاثة عشر شهراً وأياماً، كرع منها من الفلسفة والحكمة على يد أبرز الأساتذة في هذا الصعيد، هما الحكيم المتأله ميرزا أبو الحسن جلوه، والمولى حسين الخوي، ولم يكن له في هذه المدة شغل إلا ذلك.

وفي أواخر سنة ١٢٧٨ هـ - وبعد أن قيض الله له وسيلة السفر - غادر طهران إلى النجف الأشرف التي كانت مطمح نظره منذ أن هاجر مسقط رأسه خراسان، وكان أوّل من تتلمذ عليه واتخذه أستاذاً هو علامة عصره الشيخ مرتضى الأنصاري قدس الله نفسه الزكية، فحضر درسه في الفقه والاصول، وواظب على الاستفادة منه لمدة عامين حتى توفي الشيخ رحمه الله عام ١٢٨١ هـ وكان طوال هذه المدة يحظى باهتمام بالغ وعناية خاصة من الشيخ الاستاذ.

وبعد أن تتلمذ على يد السيد علي الشوشتری الذي التحق بالرفيق الأعلى بعد عامين من وفاة الشيخ الأنصاري. ومنذ ذلك الوقت - وأقبله كما عليه بعض المؤرخين والمترجمين للآخوند - تتلمذ على يد الميرزا محمد حسن المجدد الشيرازي الذي آلت إليه المرجعية وزعامة الشيعة بعد رحيل الشيخ الأنصاري، وكذلك تتلمذ لمدة عامين على يد العلامة الشيخ

راضي المتوفى عام ١٢٩٠هـ، غير أنّ جلّ استفادته كان من السيد المجدد الشيرازي فقد لازم مجلس درسه، وكان زميله في هذه المرحلة هو المرحوم الحاج آغا رضا الهمداني. وفي هذه الفترة بالذات لمع نجم الآخوند الخراساني وسطع كوكبه، وذلك عندما كان يتحوّل درس المجدد الشيرازي في أكثر الأحيان إلى نقاش علمي بين الآخوند الخراساني واستاذة المجدد الشيرازي، وربما استمرّ النقاش والجدال العلمي أياماً متعددة، كما حدث ذلك ذات مرة، سكت في نهايتها الآخوند لاعتناق بل احتراماً لاستاذة.. وقد ذكر أن الاستاذ الميرزا المجدد الشيرازي لما حضر في اليوم اللاحق للتدريس أعلن بكل شجاعة عن صحّة رأي الآخوند وسداده وقال جملة المعروفة: «بداية فكر الآخوند نهاية فكر الآخرين» وهو تعبير صادق عن قوة رأي المترجم له ودقته المتناهية، هذا والآخوند لم يمه - آنذاك - العقد الرابع من عمره بعد.

والجدير بالذكر أنّ الآخوند لازم السيد المجدد الشيرازي عشر سنوات.

عطاؤه العلمي:

عندما أحسّ الآخوند الخراساني باستغناؤه العلمي عن مواصلة التلمذ على الأساتذة، ترك مرحلة الأخذ والاستفادة، وبدأ رحلة العطاء والإفادة، وذلك في عام ١٢٩٠هـ، وقد تركز جهده في هذه المرحلة على أمرين:

١ - إلقاء الدروس العليا في الفقه والاصول، وقد تميّزت دروسه بالابتكار والتحقيق، واتّسمت أبحاثه بالقوة في الاستدلال وبالاحاطة العلمية، مضافاً إلى الدقة المتناهية في المسائل والجذابية والوضوح في بيانها، مما اكسب مجلس درسه رونقاً سريعاً ومتصاعداً. وقد أدّى لمعان نجمه في حقل التدريس إلى أن يطلب منه استاذة الميرزا حسن المجدد الشيرازي أعلى الله مقامه الشريف العودة إلى النجف الأشرف - بعد أن خرج معه مع جماعة كبيرة من العلماء والفضلاء إلى سامراء عام ١٢٩٢هـ، ليقوم بالتدريس فيها - نظراً إلى احتياج الحوزة النجفية في ذلك اليوم إلى مثله، لإدارة دقة الدراسات الفقهية والاصولية العليا (الخارج) فيها.

وبذلك تربّع الآخوند الخراساني على كرسيّ التدريس العالي الذي توالى على شغله والتربّع عليه فطاحل من المجتهدين والعلماء طوال ألف سنة أمثال الشيخ الطوسي والشيخ الأنصاري والمجدد الشيرازي قدس الله أسرارهم.

ولم يكتف السيد المجدد الشيرازي بهذا القدر بل حث الطلبة والفضلاء في النجف الأشرف على الحضور في درس الآخوند والاستفادة من معين علمه، وكان يسعى رحمه الله

قدر جهده في ترويح أمره، ويمتدح فضله وعلمه. وقد فاق الآخوند - بحق - أقرانه ومعاصريه من كبار الأساتذة والعلماء في الحوزة النجفية، وتفوق عليهم في استقطاب أكبر عدد من الطلبة والفضلاء حتى صار مجلس درسه شيئاً فشيئاً أشبه ما يكون بجامعة كبرى قل نظيرها في التاريخ الإسلامي منذ عهد الامام الصادق عليه السلام.

وقد أحصي الحضور في مجلس درسه فتراوح ما بين ١٢٠٠ و ٢٢٠٠، فيهم ما يقرب من ٣٠٠ إلى ٤٠٠ مجتهد مسلم الاجتهاد، ويذهب بعض المحققين والمترجمين إلى أن هذا الاختلاف في العدد ناشئ من أن أحده راجع إلى درس الاصول، والآخر إلى درس الفقه. ويرجع هذا النجاح والتوفيق الكبيرين إلى ما كان يطرحه الآخوند في دروسه من مبان وأسس جديدة في الاصول مع حسن تقرير وقوة بيان، واستحكام أدلة مما جذب انتباه الجميع فشددت إلى مجلس درسه الرحال من كل فج عميق، وكان لآرائه وأفكاره ومبانيه وأدلتها أكبر الأثر في الحوزات العلمية بعد مباني الشيخ الأنصاري وآرائه ونظرياته، ولقيت من البحث والنقاش أكثر مما لقيت نظريات ومباني غيره من تلامذة الشيخ الأنصاري.

وقد بلغ من إحاطته العلمية أنه لما ذاع صيته في البلاد وعرف به علماء المسلمين في خارج العراق اشتاق شيخ الاسلام في الاستانة عاصمة الدولة العثمانية إلى رؤيته بنفسه بعد أن سمع الكثير عن علمه وفضله، فقصده العراق بحجة السفر إلى قبر أبي حنيفة في بغداد، ومن هناك عرج على النجف الأشرف، ودخل إلى مجلس درس الآخوند متنكراً بصحبة بعض أفراد، فعرفه الآخوند بفراسته، فنقل البحث إلى قول أبي حنيفة بأن النهي في الوجوب والحرمة دليل الصحة، وذكر أدلته وما يؤيده بأحسن بيان مما أدهش شيخ الاسلام وبهره لما رأى من تضلع الآخوند وإحاطته بمباني أبي حنيفة وغيره من أئمة السنة. ثم عمد الشيخ الآخوند إلى نقض أدلة أبي حنيفة وإبطال مبناه بحيث أذعن شيخ الاسلام بذلك، ثم طرح الآخوند القول الفصل في هذا المجال وهو رأي استاذه الشيخ الأنصاري بأن النهي في الوجوب والحرمة دليل على فساد ذلك الحكم.

وعندما انتهى الآخوند إلى هنا قال: الظاهر أن القادم هو شيخ الاسلام العثماني واحتراماً لمقدمه أنزل عن المنبر ليفيض علينا من علومه.

ولم يكن من شيخ الاسلام العثماني الذي انبهر بمعلومات الشيخ الآخوند وسعة اطلاعه وإحاطته العلمية وقوة بيانه وحسن تقريره إلا أن امتنع من تلبية مطلب الشيخ واكتفى بمجرد الحديث إلى الشيخ بعض الوقت، انصرف بعده إلى بلده وهو يلهج بذكر الشيخ بين أهله. هذا ويكفي لبيان عظمة دروسه أنه تخرج عليه ثلثة كبيرة من العلماء الأفذاذ تسم

أكثرهم سدة المرجعية في العهود اللاحقة، وشغل أغلبهم مسند الدراسات العليا بجدارة متفوّقة، بل وكانوا أصحاب آراء مبتكرة وقويّة في مجالي الفقه والاصول، حتى أنّ أكثر مراجع القرن الأخير (الرابع عشر الهجري) هم إما تلامذته مباشرة أو تلامذة تلامذته. ونشير هنا إلى أبرز من تخرّج عليه من العلماء والمجتهدين تاركين بيان خصوصياتهم إلى عهدة القارئ الكريم، بل إلى شهرتهم في ميادين المرجعية والإفتاء، وحقول التدريس والتأليف.

- ١ - السيد أبوالحسن الاصفهاني
- ٢ - الشيخ ضياء الدين العراقي
- ٣ - الشيخ محمد حسين الاصفهاني
- ٤ - الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي
- ٥ - الحاج آغا حسين الطباطبائي البروجردي
- ٦ - الحاج آغا حسين الطباطبائي القمي
- ٧ - الشيخ عبدالله الكلبايكاني
- ٨ - الشيخ علي القوجاني
- ٩ - الشيخ عبدالحسين الرشتي
- ١٠ - الميرزا أبوالحسن المشكيني
- ١١ - الشيخ أبوالقاسم القمي
- ١٢ - الشيخ محمد علي الشاه آبادي
- ١٣ - الشيخ محمدرضا التنكابني (الفلسفي)
- ١٤ - الميرزا يوسف الأردبيلي
- ١٥ - السيد يونس الأردبيلي
- ١٦ - السيد ميرعبدالمطلب البسطامي
- ١٧ - الشيخ صالح علامة المازندراني (السمناني)
- ١٨ - السيد محمدصادق الخاتون آبادي
- ١٩ - مير سيد محمد النجف آبادي
- ٢٠ - الشيخ محمدرضا مسجدشاهي الاصفهاني
- ٢١ - الشيخ جعفر المحلاقي
- ٢٢ - سلطان العلماء الأراكي
- ٢٣ - آغانجفي القوجاني

- ٢٤ - الميرزا محمد فيض القمي
 ٢٥ - السيد حسين البادكوبه اي
 ٢٦ - آغا بزرگ حكيم الشهيدي الخراساني
 ٢٧ - السيد كاظم العصار
 ٢٨ - السيد جمال الكلپايگاني
 ٢٩ - السيد أبو تراب الخونساري
 ٣٠ - الميرزا آغا الاصطهباناتي
 ٣١ - السيد محمد الفيروزآبادي
 ٣٢ - السيد أحمد الحائري الطهراني
 ٣٣ - الشيخ محمد باقر البهاري
 ٣٤ - السيد علي القاضي الطباطبائي
 ٣٥ - السيد عبدالغفار المازندراني
 ٣٦ - الشيخ موسى شرارة
 ٣٧ - السيد عبدالحسين شرف الدين العملي
 ٣٨ - السيد محسن الامين العملي
 ٣٩ - الشيخ آغا بزرگ الطهراني
 ٤٠ - الشيخ محمد جواد البلاغي
 ٤١ - الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء
 ٤٢ - الشيخ هادي كاشف الغطاء
 ٤٣ - السيد هبة الدين الشهرستاني
 ٤٤ - السيد أبو القاسم الكاشاني
 ٤٥ - السيد حسن المدرس
 ٤٦ - إمام جمعه الخوئي
 ٤٧ - السيد محمد الحجّة.
 ٤٨ - السيد صدرالدين الصدر
 ٤٩ - السيد محمد تقي الخونساري
 ٥٠ - السيد حسين الحمامي
 ٥١ - الشيخ محمدرضا آل ياسين
 ٥٢ - الميرزا مهدي الشيرازي

- ٥٣ - السيد عبدهادي الشيرازي
 ٥٤ - السيد محسن الطباطبائي الحكيم
 ٥٥ - السيد محمود الشاهرودي
 ٥٦ - السيد محمد باقر الهندي
 ٥٧ - السيد رضا الهندي
 ٥٨ - الشيخ محمد رضا الشبيبي
 ٥٩ - الشيخ هادي الجلبي الكرمانشاهي
 ٦٠ - السيد أحمد الخونساري

وقد كان جماعة من هؤلاء أعضاء في مجلس فتوى الآخوند الذي كان ينعقد في منزله كل ليلة وينظم أجوبة المسائل والاستفتاءات الواردة على الآخوند الخراساني من الشيعة في شتى البقاع، وكان الشيخ يشترك بنفسه في هذا المجلس وبعد طرح الأسئلة والاستفتاءات الواردة يطرح رأيه، وبعد مناقشته مع أعضاء ذلك المجلس الذي كان يضم خيرة تلامذته وصفوة أصحابه، مناقشة علمية فقهية واصولية دقيقة ينظم الجواب تمهيداً لإرساله إلى السائل، وربما كان يطول هذا المجلس إلى خمس ساعات بعد الغروب.

٢ - تأليف الكتب الفقهية والاصولية سواء المصنقات المستقلة أو التي هي في صورة الحواشي والتعليق على كتب الشيخ الأنصاري قدس سره.
 وقد امتازت مؤلفات الآخوند الخراساني أعلى الله مقامه الشريف - مثل دروسه - بالدقة والعمق، وقوة الحجّة، وحصانة التعبير، والابتعاد عن الزوائد في الألفاظ والمطالب، وبالاختصار المدروس والايجاز المحسوب حتى ظنّ الظان أنه نمط من التعقيد المتعمّد، والتعسير المقصود، فيما هو من عمق التحقيق وجزالة التعبير ليس إلّا.

وقد كتب الآخوند رحمه الله أكثر هذه الكتب والحواشي في العقد الثالث والرابع من عمره الشريف، وتعتبر مع ذلك من أفضل المصنقات والحواشي في بابها بدليل أنها حظيت بأكبر قسط من اهتمام العلماء والمحققين فتناولوها بالشرح والتعليق واتخذوها مداراً للارجاع والمطالعة أكثر من غيرها.

وها نحن نورد هنا أسماء مصنقاته مع الإشارة إلى بعض الملاحظات المرتبطة بها.

آثاره الاصولية والفقهية والفلسفية:

أما مصنقاته في علم الاصول فهي:

١ - حاشية على «رسائل» الشيخ الأنصاري وهي الحاشية القديمة على تأليف أستاذه

الأكبر وتعتبر من أدقّ الحواشي على هذا الكتاب، وقد كتبها وهو في الثامنة والعشرين من عمره.

٢ - حاشية أخرى على «رسائل» الشيخ الأنصاري وهي المسماة بـ«درر الفوائد» وقد بدأ بكتابتها منذ كان في السادسة والثلاثين من عمره، وانتهى منها بعد عدة سنوات، وعلى وجه التحديد في عام ١٢٩٥هـ، وقد طبعت مراراً.

٣ - رسائل «فوائد الاصول» ألّفت في عام ١٣٠١هـ، وتحتوي على خمسة عشر فائدة في الاصول، وقد كتبت بعد الحاشية على الرسائل، وطبعت مع الحاشية وبدونها مراراً، وطبعت عام ١٤٠٧هـ أيضاً.

٤ - رسالة حواشي الظن: ١٣٠٢هـ.

٥ - رسالة حواشي القطع ١٣١٥هـ.

٦ - رسالة حواشي الاستصحاب غير مؤرخة.

٧ - كفاية الاصول: (وهو هذا الكتاب الذي بين يديك) وهو أشهر كتبه، وقد فرغ من تأليفه عام ١٢٩١هـ وسيأتي الحديث عنه بتفصيل مستقبلاً.

٨ - رسالة في المشتق.

وأما مصنّفاته في الفقه فهي عبارة عن:

٩ - حاشية على «مكاسب» الشيخ الأنصاري في مباحث البيع والخيارات، وقد كتبها عام ١٣١٩هـ، وهو من أهم آثاره العلمية، كما أنه يعدّ من أدقّ الحواشي على كتاب المكاسب.

١٠ - شرح على «التبصرة» للعلامة الحلّي.

١١ - تلخيص للتبصرة باسم «تكملة التبصرة» وقد طبع في طهران عام ١٣٢٨هـ، وهو عبارة عن دورة فقهية فتوائية على نمط تبصرة العلامة، وهو يحظى بأهميّة كبيرة لكونه يحتوي على آخر فتاواه.

١٢ - شرح لمن التكملة من مبحث الطهارة إلى مواقيت الصلاة، أرادها الآخوند أن يكون دورة فقهية استدلالية مختصرة بحيث تصلح للتدرّس في آخر مرحلة من السطوح العليا، وقد أسماه بـ«اللمعات النيرة في شرح تكملة التبصرة»، تمّ انجاز قسم الطهارة منه في سؤال ١٣٢٩هـ، واشتغل بالصلاة فبلغ إلى مكان المصلّى ولم يمهله الأجل.

١٣ - رسالة في الوقف.

١٤ - رسالة في الرضاع.

١٥ - رسالة في الدماء الثلاثة، وتعتبر هذه الرسالة في نظر أكثر المحققين من أهمّ وأدقّ

آثار الآخوند العلمية التي تناسب مكانته العلمية.
وقد طبع الكتاب الأخير مع هذه الرسائل الثلاث في بغداد بعد وفاة الشيخ الآخوند ضمن مجموعة تحتوي على خمس رسائل فقهية تحت عنوان «شذرات».

١٦- رسالة في الطلاق، غير تامة.

١٧- رسالة في مسألة الاجارة، غير تامة.

١٨- رسالة في معنى العدالة.

١٩- رسالة في الرهن.

وهذه الرسائل السبع بالاضافة الى الرسالة الاصولية المكتوبه في المشتق المذكورة تحت رقم ٨ في هذه القائمة، طبعت في مجلد واحد.

٢٠- كتاب في القضاء والشهادات، غير تام، وقد أكمله نجله الميرزا محمد الكفائي.

٢١- رسالة عملية باسم «روح الحياة» طبعت في بغداد عام ١٣٢٧ هـ أي قبل وفاته

قدس سره بعامين.

كما طبع كتابه في الوقف مع شرحه للتبصرة في بغداد.

٢٢- ذخيرة العباد ليوم المعاد وهي رسالة عملية للمقلدين باللغة الفارسية.

وله رسالتان في الفلسفة وهما:

٢٣- حاشية على أسفار صدر المتأهين الشيرازي.

٢٤- حاشية على منظومة السبزواري.

دوره الاجتماعي والسياسي:

لم تقتصر اهتمامات الآخوند الخراساني وجهوده ونشاطاته على الجانب العلمي والفكري، بل منذ أن آلت إليه مرجعية الشيعة، وزعامة الحوزة العلمية وجه اهتمامه إلى تحسين أوضاع الناس الاجتماعية والسياسية، وكانت له في هذا المجال مواقف مشرقة وتاريخية أبرزها موقفه من قضية «حركة المشروطة» أي الحكومة الملكية الدستورية في إيران. ولاطلاع القاريء على هذا الموقف السياسي المهم للمرحوم الآخوند قدس الله نفسه الشريفة نلفت نظره إلى الوضع الاجتماعي والسياسي في إيران في ذلك العصر.

إتسم النصف الثاني من القرن الثالث عشر ومطلع القرن الرابع عشر الهجري بطابعين: أحدهما يتعلق بإيران والآخري يتعلق بالخلافة العثمانية وولاياتها.

أما ما يتعلق بإيران فقد تزايد الظلم والاستبداد والجور في عهد الملك القاجاري ناصر الدين شاه، وبلغ هذا الظلم والاستبداد ذروتها في عهد الملك القاجاري محمد علي شاه

ابن الملك مظفرالدين شاه، حيث تردت الأوضاع الاجتماعية في ظلّ هؤلاء الملوك وتفشّت الأمراض وانتشر الفقر، حتى آل الأمر إلى هجرة أعداد كبيرة من الناس إلى البلاد الروسية والعثمانية طلباً للنجاة، أو بحثاً عن لقمة العيش، هذا إلى جانب تصاعد الصراع الروسي البريطاني على النفوذ في إيران من جهة، وتطور العلاقات الإيرانية الروسية في اتجاه خطير بحيث أصبحت روسيا القيصرية الممول الرئيسي وصاحب القروض الأولى للحكومة الإيرانية من جهة أخرى، الأمر الذي كان من شأنه أن يؤدي إلى تدخلات خطيرة في حياة الشعب الإيراني المسلم، ولم يكن كل ذلك إلا بسبب سياسات الملك القاجاري محمد علي شاه واستبداده وتفردده بالحكم، واتخاذ القرار السياسي.

هذا ما يرتبط بإيران والشعب المسلم في هذا القطر الإسلامي الكبير. وأما ما يرتبط بالخلافة، فهو قيام الحركة الإصلاحية في الدولة العثمانية التي أطاحت بالسلطان عبدالحميد الثاني، وإقرار الحكم الدستوري (البرلماني) محلّ الخلافة العثمانية، نتيجة استبداد العثمانيين وظلمهم وعبثهم، وما جرّ ذلك على شعوب هذه الدولة من العناء والأذى.

فلم يكن في وسع الشيخ الآخوند وهويشغل مسند الزعامة الشيعية، وبهّمه أمر المسلمين وأوضاعهم عامة وشعب إيران المسلم خاصة أن يتفرّج على هذه الامور ولا يتحرك لايجاد مخلص من هذا الوضع المأساوي الذي كان ينذر بكارثته، فقدّم نصحه للملك القاجاري محمد علي شاه بالعدول عن سياساته الخاطئة والظالمة.

ولمّا لم يأبه الشاه بنصائحه واستمرّ في استبداده وتجاهله لحقوق الشعب، أيّد الآخوند الخراساني ما اصطلح عليه يومئذ بالمشروطة (أي الملكية المقيدة بالمجلس النيابي أو الملكية الدستورية) بهدف تحديد سلطات الشاه.

ولأجل خضوع هذا المجلس للشريعة الإسلامية، وانطباق مقرّراته على الموازين الدينية بعث الآخوند خمسة فقهاء إلى هذا المجلس أبرزهم السيّد حسن المدرّس بهدف النظارة على نشاطه التشريعي، باعتبار هذا النمط من الحكم هو البديل الممكن لا البديل الحقيقي.

وواجه الملك والروس الذين كانوا يدعمونه هذه الحركة بالقمع، وآل الأمر إلى تدخل الروس من الشمال وتدخل منافسيهم (بريطانيا) من الجنوب بشكل سافر، والاعتداء على السيادة الإيرانية الإسلامية ممّا دفع بالشيخ الآخوند إلى العزم على الرحيل والسفر من النجف الأشرف إلى إيران لدفع القوات الغازية وإصلاح الأمور في ذلك القطر الإسلامي، ولكن حال الأجل المباغت (والمحاط بظروف غامضة) دون سفره إلى إيران وتحقيق أهدافه في الجهاد والإصلاح.

وكان الآخوند قد أكد في تقريره لكتاب آية الله الميرزا حسين النائيني قدس سره «تنبيه الأمة» - الذي يبحث حول الحكومة الإسلامية- على ضرورة الأخذ بالأحكام والموازن الإسلامية في القوانين واللوائح التي يُصدّق عليها المجلس النيابي لإدارة شؤون البلاد. ومنذ ذلك الحين برز آية الله الآخوند الخراساني كزعيم سياسي لامع - بعد أن كان قد برز قبل ذلك بأعوام كزعيم ديني ذائع الصيت- وقد كان لموقفه السياسي هذا آثاره الإيجابية القويّة في مستقبل إيران يحتاج بيانها إلى مجال أوسع.

سجاياه الأخلاقية وحالاته المعنوية:

كان الآخوند الشيخ محمّد كاظم الخراساني رحمه الله إلى جانب نبوغه الباهر ومواهبه العظيمة يتحلّى بسجاي أخلاقية وصفات نبيلة متميزة، ونحن نذكر نماذج هنا تقديراً لتلك الشخصية الفذة وتذكيراً لمن يريد أن يحذو حذوه.

كان الآخوند رجلاً متواضعاً يعيش حياة البساطة، ورغم أنه كان يبدو عملاقاً عندما يرقى كرسي الإفادة والتدريس، إذا حضر بين تلاميذه كان كأحدهم.

كان مؤدّباً حياً في سلوكه، يحترم أهل الفضل وينزّهم منازلهم، ولا ينتقص أحداً. كان رحمه الله قليل الأكل، لا يأكل في اليوم والليلة أكثر من مرتين، لا تتجاوز كل وجبة لقيمات معدودة، كما كان رضوان الله تعالى عليه قليل النوم.

كان سخياً، لا يبخل عن صرف الوجوه الشرعية في محلّها. وقد التمس منه أحد الفضلاء ذات مرّة معونة مالية لتزويج ابنه فأعطاه كل ما كان آنذاك في صندوقه وكان أربعمائة سكة ذهب، ولم يستبق لنفسه قيراطاً.

كان مخالفاً لهواه، يتجنب الترويح لنفسه، وكان يحب الحقيقة ويتعشقها، وكان يقول: إن تدين أبنائي إنما يثبت لدي إذا قلّدوا غيري، لأنهم ماداموا يقلّدونني لا يمكنني أن أميز هل دفعهم إلى تقليدي تشخيصهم غير المتحيز للواجب والوظيفة الدينية، أم أنّ أهوائهم هي التي دفعتهم إلى ترويح أمر والدهم.

كان مطمئن النفس، لا يتزعزع أمام أية هزة أو حادثة عاصفة، وقد أكسبه إيمانه قوة نفسية وشجاعة كبرى لا يخاف معها أي أمر رهيب.

ولم يكن يترك الوظيفة بحجة جلب منفعة وهمية أو دفع ضرر خيالي، بل يمضي في أداء واجبه الشرعي دون تردد.

كان رفيقاً مع من عارضوه في حركته لإقرار الحياة الدستورية إلى درجة عظيمة، فيقضي حوائجهم ويحترمهم، ولا يسمح بالتعرض لهم بسوء، وكأنه ليس بينهم وبينه شيء.

كان هناك شخص يهاجمه في المحاضرات وعلى المنابر فاحتاج ذات مرة إلى مال لتردي أحواله الإقتصادية فحضر عند الآخوند مع جماعة من مقلديه قدس سره ومعهم مبلغ كبير من الحقوق الشرعية فطلبوا منه بأن يسمح لهم باعطاء المبلغ المذكور لذلك الشخص، فالتفت إليهم وقال: «إني لأعجب منكم كيف أتيتم إلي ولديكم مثل هذا الشيخ الفاضل، ألا تعلمون أن يده بمنزلة يدي، وإن ماتعطونه من سهم الإمام عليه السلام مها كان مقداره موضع قبول من قبلي... قوموا وقدموا له هذا المبلغ، وأنا اعطيكم إيصالاً به». ثم كتب الشيخ الآخوند أعلى الله مقامه الإيصال المتعارف ووشحه بتوقيعه وسلّمه إليهم.

وحاول أحد الحضور من أصحاب الآخوند أن ينبّهه على ماهية ذلك الشخص ظناً منه بأن الآخوند لا يعرفه، فأتى باسم شخصية علمية كان يعارض الآخوند في بعض تفاصيل حركته السياسية وسأل ذلك الرجل عن حاله، وقد كان من أتباع تلك الشخصية، فبادر الآخوند وقال: «لا حاجة إلى هذا السؤال فأنا التقيت بتلك الشخصية العلمية اليوم في أثناء الطريق وتعرفت على صحته، فهي والله الحمد على مايرام».

ثم لما قام الرجل المذكور مع مرافقيه ليخرج من منزل الآخوند نهض الآخوند رحمه الله وودّعه إلى الباب إحتراماً وتادباً.

وفي اليوم الآخر حضر الرجل المذكور إلى منزل الآخوند وقال: مولاي أنا متّمن أعارضكم وبقيت أهاجمكم في محاضراتي وعلى المنابر وأنتم مع ذلك تحسنون إلي!! فقال الآخوند قدس سره: «أنا لم أجد في الكتب الفقهية أن استحقاق شخص لأخذ الحقوق الشرعية مشروط بمالأة الآخوند الخراساني ومودته».

ويذكر المترجمون للآخوند أعلى الله مقامه أن أحد معارضيه وخصومه الألداء احتاج ذات مرة إلى تأييد من الآخوند، فاغتم فرصة خروج الآخوند من درس الأصول وكان درساً متبعاً مضمناً، ولما خرج الآخوند من المجلس وصار في الطريق تقدّم إليه الشخص المذكور وقدم له ورقة وطلب من الآخوند أن يوقع عليها ويؤيده، فوقف الشيخ الآخوند إحتراماً له، وتصوّر الجميع أن الآخوند سيستلم الورقة إلى أصحابه ليوقع عليها في البيت... ولكنه فاجأ الجميع بأن طلب من ابنه بأن يحضر القلم والدواة من فوره، ووقع على الورقة وهو في أثناء الطريق رغم أنه كان تبعاً من المحاضرة، ورغم أن صاحب الورقة كان من ألدّ خصومه ومعارضيه.

كان الآخوند -رحمه الله- قد قطع شوطاً كبيراً في طريق السلوك المعنوي والإرتقاء الروحي، وكان مليئاً بالحبّ الإلهي، عظيم الإنشداد إلى محبوبه. وكان يكتم -مع ذلك- عن الآخرين حالاته العرفانية، وما حازه من مراتب معنوية عليا،

إلا أن وجهه كان يعكس صفاء نفسه وعظمة روحه، وسمو معناه. ولعل مما يدل على مكانته المعنوية أنه عندما توفيت ابنته الوحيدة عام ١٣٧٥ هـ وأرادوا دفنها بجانب جدار قبره الشريف انهار جدار القبر، وانكشف جسد المرحوم الآخوند رضوان الله تعالى عليه، فوجد الجسد سليماً طرياً لم يبل منه شيء وكأنه كان نائماً دون أن يتنفس، والحال قد مرّ على وفاته - رحمه الله - ٦٤ سنة، وقد شهد كثيرون هذا المشهد العجيب، وزاروا جثمانه المبارك .

وفاته:

بينما كان يستعدّ للسفر إلى إيران في جمع كبير من العلماء والفضلاء وجماعة كبيرة من المجاهدين لدحر القوات الروسية والبريطانية الغازية، ويهدف إصلاح الأوضاع من قريب، وافته منيته قبيل صباح يوم الثلاثاء في العشرين من شهر ذي الحجة عام ١٣٢٩ هـ على سجادة صلواته، وذلك بعد أن كان قد تحسّس علائقها فطلب أن يختم حياته بوداع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وزيارة قبره الشريف .

ولقد كانت وفاته - التي وقعت بعد تدهور مفاجيء في صحته التي كانت في أوج الاعتدال، وفي الوقت الذي كان يريد التوجه مع جمع هائل من العلماء والمجاهدين إلى إيران لمقارعة الغزاة الروس والانجليز - تبدو أمراً غير عاديّ .

ولهذا يحتمل أن يكون رحمه الله قد توفي مسموماً، نظير وفاة آية الله العظمى الميرزا محمد تقي الشيرازي زعيم ثورة العشرين ضد بريطانيا الذي توفي فجأة في ذروة الثورة وعلى أبواب الانتصار على الاعداء، حيث يعزى وفاته إلى ذلك عام ١٣٣٨ هـ .

وكانت وفاته رحمه الله صدمة كبرى للحركة الإسلامية الناشطة والناهضة، وقد بكاه الصديق والعدو والقريب والبعيد، لأنهم فقدوا بوفاته أباً رؤوفاً، ومعلماً عطوفاً، ونجماً لامعاً أضاء سبيل الأمة، وعبقرياً فذاً خلف مدرسة علمية غنية، ومجدداً عظيماً فتح آفاقاً جديدة على الحوزات العلمية، وأملاً كان يشجع المؤمنين المجاهدين على المضي في العمل والجهاد. كما كان يوم تشييعه إلى مثواه الأخير يوماً مشهوداً، وقد رثاه الشعراء وأرخوا فاجعة رحيله .

فقد رثاه الشيخ حسن رحيم وأرخ وفاته في أبيات إذ قال:

وفريدٌ قد حظى التُّربُ به ليتنا كُنّا له نمضي فدا
أبتم العلم بل الدين معاً «كاظم» للغيط ينعاه الندى
ونعى جبريل أرخ «هاتفاً: هُدِّمت والله أركان الهدى»

هذا الكتاب

وهذا الكتاب «كفاية الأصول» السفر الأصولي القيم، أغنى من أن يُعرَف، وهو الأثر العلمي الحيّ الخالد الذي عليه مدار التدريس في مرحلة السطوح العليا في الحوزات العلمية ما يقرب من ثمانين سنة.

إنه الكتاب الذي - لقوة مسأله، ودقة مطالبه ووجازة الفاظه، ورصانة تراكيبه وتعايره- دقّ على كثير من الأفهام، فعمد العلماء الى شرحه والتعليق عليه فبلغ عدد شروحه وحواشيه ١٥٠ شرحاً وحاشية.

يقول عنه العلامة الآية الشيخ آغا بزرك الطهراني في ذريعته مانصّه: «كفاية الأصول متن جامع في أصول الفقه لشيخنا الآخوند المولى محمّد كاظم الهروي الخراساني، المتوفى سنة ١٣٢٩، وقد أدخل المسائل الفلسفية في الأصول أكثر من قبله من مؤلّي الرسائل والفصول والقوانين، وهو المتداول تدرّسها إلى اليوم في جوامع النجف، ولهذا فقد كثرت الحواشي عليه من تلاميذ المصنف».

وأبرز هذه الشروح والحواشي ما كتبه أصحاب السماحة الشيخ ميرزا أبوالحسن المشكيني والشيخ علي القوجاني، والميرزا علي الايرواني، والشيخ محمّد حسين الأصفهاني، والشيخ عبدالحسين الرشتي والسيد محسن الطباطبائي الحكيم. فالسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يُبعثُ حيّاً^(١).

(١) استفدنا من كتابة هذه الترجمة من المصادر التالية:

- ١ - معارف الرجال لحرز الدين ج ٢.
- ٢ - أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين العاملي ج ٩.
- ٣ - المصلح المجاهد.
- ٤ - مجلّة العلم: العدد الثامن السنة الثانية أول صفر ١٣٣٠هـ، وكذا العدد التاسع السنة الثانية.
- ٥ - الذريعة للشيخ آغا بزرك الطهراني ج ٢ و ٤ و ٦.
- ٦ - تاريخ روابط ايران وعراق.
- ٧ - كتابات وملاحظات مخطوطة لحفيد الشيخ الآخوند.